زكريا

عليه السلام

روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«كان زكريا نجارًا».

لقد كان يأكل من عمل يده، كان يتطلب الحلال الصافى ويتحراه فكان يعمل بيده.

ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم داود عليه السلام فى معرض المدح قائلاً:

«ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يديه، وأن نبى الله داود صلى الله عليه وسلم، كان يأكل من عمل يده» (رواه البخارى عن أبى هريرة).

وليس المراد حتمًا حرفة يدوية، وإنما المراد الجهد الإنسانى فى العمل.

obeikandl.com

والأكل الحلال مدحه الله تعالى فى القرآن الكريم، ومدحه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث الشريفة.

يقول الله سبحانه:

﴿يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيبًا ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (البقرة آية: ١٦٨)

ويقول تعالى:

﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ (البقرة آية: ١٧٢).

وقال سبحانه:

﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾. (المائدة آية: ٨٨).

ويقول تعالى:

﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيبًا، واتقوا الله، إن الله غفور رحيم﴾. (الأنفال آية: ٦٩).

وقال جل شأنه:

﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبًا، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾. (النحل آية: ١١٤).

ومن أسس القربى إلى الله، ومن قواعد استجابة الدعاء وهو على العموم من أجواء الصالحين.

وقد كان زكريا من الصالحين، يقول تعالى:

﴿وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين﴾ (الأنعام آية: ٨٥).

وقد عاش فترة طويلة من حياته لا ينجب أولادًا، وكان يحب أن يكون له ولد يرثه فى النبوة.

وكان من تصاريف القدر أنه هو الذى كفل مريم البتول، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقًا، فيسألها قائلاً:

يا مريم أنى لك هذا؟

فتقول: هو من عند الله.

ثم تضيف ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾.

إنه سبحانه يرزق من يشاء رزقًا ماديًّا، ويرزق من يشاء رزقًا معنويًّا، ويرزق من يشاء ما يشاء ويقدر، ويصف الإنسان بالتقتير:

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذًا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا﴾. (الاسراء آية: ١٠٠).

وقد بين الله سبحانه مفاتيح الرزق فكان منها الضرب فى الأرض. وكان منها العمل، وكان منها الدعاء:

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال: رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقًا بكلمة من الله وسيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين﴾ (آل عمران آية: ٣٨-٣٩).

أما استجابة الدعاء هذه، فإن الله سبحانه وتعالى قال عنها وعن سرها:

﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردًا وأنت خير الوارثين، فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾. (الأنبياء آية: ٨٩ - ٩٠).

أرأيت إلى من يسارع فى الخيرات ويدعو الله والشعور يغمره بالرغب والرهب، وهو إذا أمسى كان خاشعًا لله، وإذا أصبح كان خاشعًا لله، أرأيت إلى مثل هذا يرده الله خائبًا إذا دعا؟

حاشا لله، وهو السميع للدعاء المجيب لمن حقق شروط العبودية، يقول الله سبحانه فى حديث قدسى عن سر استجابة الدعاء:

«من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا

أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه» (رواه البخارى).

ولا يتأتى أن يعادى إنسان الله فتكون هذه العداوة سببًا فى استجابة الدعاء، اللهم إلا إذا كان دعاء خالصًا بالتوبة والإنابة مستعينًا بالله على قبول التوبة النصوح.

لقد استجاب الله دعاء زكريا ونادته الملائكة مبشرة له بيحيى، وفرح زكريا فرحة غامرة وكان فى سعادة، وأخذ يسأل ليطمئن قلبه وليستزيد من سعادة وضوح الرؤية:

﴿قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر، قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾. (آل عمران: ٤٠).

وعاد زكريا يسأل:

﴿قال: رب اجعل لى آية، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزًا، واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشى والإبكار﴾. (آل عمران: ٤١).

ويقص الله سبحانه أمر زكريا مرة أخرى فى أول سورة مريم فيقول سبحانه:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿كهيعص. ذكر رحمة ربك عبده ذكريا، إذ نادى ربه نداء خفيًّا، قال: رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس

شيبًا ولم أكن بدعائك رب شقيا، وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرًا فهب لى من لدنك وليًّا، يرثنى ويرث من آل يعقوب، واجعله رب رضيًّا، يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميًّا، قال: رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًّا، قال: كذلك، قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئًا، قال: رب اجعل لى آية؟ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًّا، فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًّا، يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيًّا، وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًّا، وبرًّا بوالديه ولم يكن جبارًا عصيًّا، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًّا﴾. (مريم: ١ - ١٥).